



لى . ونشرته وهو ما يزال حيا : إننى لم أحسن التقدير . أخطأت فى اعتيادى على الأمريكان . وكنت أعمى أعمى أعمى ! (قالها كثيرا حتى خيل إلى أنه يقصد أنه أصبح كذلك فأطلت النظر إلى عينه !) وإننى حاولت أن أقفز بشئى بدلا من أخطو به . وحاولت أن أنكر الجغرافيا والتاريخ . فأجعل إيران الفارسية الآسيوية دولة أوروبية غربية ! وغلطة أخرى لاحيلة لى فيها : أننى ورثت العرش وسوف يرثه ابنى من بعدى . وبسبب خوفى على ابنى حملت عنه أعباء كثيرة . ونحست طرقا غير مطروقة . وحاولت المستحيل . وهو أن أغير الذى لا يتغير . وأن أبدل الذى لا يتبدل . أقصد أن أختار لابنى أحسن المستشارين . وأن أفترض فيهم الإخلاص المطلق للجالس على العرش - وكان ذلك نوعا من المستحيل . وأعترف أننى فشلت !

وقال لى شاه إيران ولم أنشر ذلك : أكبر غلطة أننى ابتعدت عن الناس جدا . فرأيهم صغارا . ولم أتبين أنهم رأوفى كذلك . . ولم أتنبه إلى أن الحاكم عندما يخلق المسافات الهائلة بينه وبين الناس يغرى كثيرين من الذين حوله . بأن يشغلوا هذه المسافة . . ويتحلوا صفاته ويستخدموا أدواته . ويتبعوا لسانه . . فيكون هناك أكثر من حاكم وأكثر من ملك وأكثر من عرش . . أكبر غلطة . . لم أعرفها إلا أخيرا . . وعلى الرغم من أننى قلبت فى التاريخ كثيرا . وعرفت صناعة العروش ودرست الترحلق على العرش والتسلل إليه . فإن هناك حقيقة هامة جدا : هى أننا لا نتعلم من التاريخ . بل إن التاريخ قد علمنا ألا نتعلم منه . ولذلك فسوف تتكرر كل الأخطاء . . ولو عدت أنا إلى العرش لوقعت فى نفس الأخطاء . . فأنا أحمى سلالة بشرية متقرضة : الملوك وأولياء العهد ! . .

وقد تشاءم شاه إيران مرة واحدة . وحاول بعد ذلك أن ينسى . فعندما خرج من إيران سنة ١٩٥٣ بتوجيه من المخابرات الأمريكية . أبقى أن ذلك سوف يحدث مرة أخرى . وقال لى إن هناك أسطورة فارسية أو نبوءة فارسية تؤكد هذا المعنى . وأن قارنا للكف فى سويسرا عندما كان طالبا . قال له بالحرف الواحد : يخرجونك من بلادك مرة . وتخرج أنت منها مرة أخرى ! . .

وعلى الرغم من أن خروجه من إيران فى المرة الأولى كان ثلاثة أيام . فقد ظلت هذه النبوءة تعاوده فى أحلامه . . فقد فرغ فى إحدى ليالى سنة ١٩٥٥ عندما رأى فى نومه أنه سقط من طائرته بغير مظلة واقية . فلما التقى الشاه بمتدوب المخابرات الأمريكية كرميت ووزفت روى له هذا الحلم . ولم يسترح الشاه إلى رد متدوب المخابرات . فقد قال له : إذن فأنت فى حاجة إلى دروس فى استعمال المظلات ! . .

ومرة أخرى بعد ربع قرن ظهر فى طهران فجأة ضابط أمريكى كبير هو الجنرال هاووز . هذا الضابط هو الذى تصح الشاه بأن يخرج من إيران . وخرج الشاه ولم يعد . .

ولم ينس الشاه أن الأمريكان هم الذين أعادوه إلى العرش . وأنهم الذين أسقطوه من العرش . ولم ينس الشاه أيضا أن ثمانية من رؤساء أمريكا قد اعتبروه صديقهم الأكبر فى الشرق الأوسط . ولم ينس الشاه أنه صديقهم . ولم يفلح الشاه فى أن يفهم أن الصداقة كالعداوة درجات . وأنها أيضا مزاج شخصى ومزاج قومى . .

مات الشاه فهل يعيش الخميينى ؟

أنيس منصور

الخميينى

يعيش الملوك مرتين : مرة وهم على العرش . ومرة وهم يحملون بالعودة إليه . . ويموت الملوك مرتين : مرة عندما يسقطون من العرش إلى الأرض . ومرة عندما يتزلزلون تحت الأرض . .

وقد تعذب شاه إيران بكل ذلك . فكانت طائرته المعلقة بين العواصم نعشا طائرا . بلا جنازة ولا مشيعين . وكلم ابتعدت الطائرة عن البلاد الإسلامية أحس الملوك والرؤساء أن « العدوى » قد ذهبت عنهم . وأنهم فى أمان من كل الذى أصاب الشاه . وكان ذلك امتحانا لقوة الرؤساء والملوك وشجاعتهم وإيمانهم . وقد رسبوا فى الامتحان . . إلا رجلا شجاعا مؤمنا : أنور السادات ! . .

والشاه الآن بين يدى الله وبين أفلام المؤرخين ومشارط الجراحين ورضاص المتعطين إلى ماله ودم أسرته . . ولكنه فقد أهم ما فى الحياة : القدرة على أن يدافع عن نفسه . .

لقد سألت شاه إيران قبل وفاته بشهر واحد : إن كان يستطيع بوضوح أن يدلى برأيه فى محكة التاريخ . وإن كان يستطيع أن يكون القاضى على نفسه واغامى عن أخطائه والمنهم من الجميع والمستقم الجبار من ظلموه . فقال

فهل كان هنري كيسنجر أول من تنبأ بنهاية الشاه؟ ربما...
فعندما سافر الرئيس نيكسون ومعه كيسنجر إلى طهران في
٣٠ مايو سنة ١٩٧٢ استطاع كيسنجر بعينه الذكية أن
يقول: إن الواقع أماننا امبراطور اسما، طاغية
فعلا!...

واستطاع بأنف النسر أن يشم رائحة الموت... فقد أيقن أن
شاه إيران جثة شاه سابق!...

ولكن بعد ثورة الإمام الخميني استحق الرئيس نيكسون ومستشاره كيسنجر
كل اللوم... فهنا يعرفان أن الشاه ملك فاسد تماما... وكان من الواجب عليها
أن يتخلصا منه... ولكن كيسنجر في كتابه «سنوات البيت الأبيض» يدافع
عن رئيسه نيكسون فيقول: كان لابد من الاعتماد على الشاه... ففي ذلك
الوقت كان بمصر ١٥ ألف خبير سوفيتي... وفي سوريا أسلحة سوفيتية... كما أن
الانجليز قد انسحبوا من شرق السويس معلنين أنهم غير قادرين على حماية
الخليج وتركيا واليونان... ولم يبق لأمریکا من أصدقاء في المنطقة سوى إيران
والسعودية... واعتمدت أمريكا على سياسة ذات ساقين: إحداها في طهران
والأخرى في الرياض... والسوفيت يزحفون حول المنطقة... ثم... وقال
كيسنجر: ليس شرفا عظيما لأمریکا أن تهاجم الشاه حليفها ٣٧ عاما!...
أما الرئيس كارتر فعندما زار إيران... وكان ذلك يوم رأس سنة ١٩٧٩...
فقد أمسك كأس الشهبان ورفضها في صحة الإمبراطور والإمبراطورة
الجميلة... معلنا أن إيران جزيرة أمان في طوفان من القلق...

فهل كان الرئيس كارتر يعرف الحقيقة... ولكن المناسبة السعيدة
دفعته بالجمالة إلى حدود الكذب؟! هل الإدارة
الأمريكية كانت لا تدرى بالثورة الخبيثة في إيران... بينا
الأجهزة الأمريكية كانت تستعد لإخراج الشاه والاتصال
بالإمام الخميني؟...

لقد أريق حبر كثير في الإجابة عن هذا السؤال في كل صحف العالم...
ولكن الشاه كان أسبق الجميع عندما نشر فصلا من كتابه «رد على
التاريخ» منها أمريكا بأنها خدعته وأسقطته وطردته وباعته للإمام الخميني...
وكانت صفقة خاسرة... فقد دفع الشاه ٢٦ ألف مليون دولارا ثمنا للأسلحة
المنطورة للجيش الإيراني... ولن يدفع لها الخميني دولارا... ولن يبيع لها
برميلا... وحاولت أمريكا أن تفتح بابا سوريا إلى مجالس الخميني في باريس...
ولكنه أغلق في وجهها الباب والشباك... واحتجز خمسين رهينة وشيئا آخر:
كبرياء أمريكا!...

وقبل وفاة شاه إيران بأربعين يوما بعث إلى الرئيس السادات
بترتين طويلتين...

الأول عن: الأوضاع في إيران قبل مغادرة الشاه - أي لماذا
غادرها؟...

والثاني عن: الأوضاع في إيران بعد مغادرة الشاه - أي هل
يعود؟...

والثالث عن: أكثر من مائتي صفحة من التحليل الموثق الذي كتب
بأعصاب جديدة... فقد استعاض الكاتب عن القلم بمشروط جراح
عجيب... جراح اختار أن يمزق جسد إنسان حي... فلا يهزه المريض
ولا يقلقه صراخه... أو غويل أقاربه!...



▲ وكانت هذه الصور... والحديث معه... آخر نشاط قام به الشاه جالسا قبل يومه
الأخير...

وقد تغيرت الإدارات الأمريكية... وتنوعت وسائل الضغط الدولية في
الشرق الأوسط... وحدثت حركات تقلبات بين المفردات السياسية في
القاموس... وظهرت للقاموس السياسي طبعات جديدة متفحة في واشنطون
وموسكو ولندن وباريس... ولكن الشاه لم يتابع الثورات السياسية من
حواله... فبقى في مكانه... وغرّك كل الذين حوله بما في ذلك الأمريكان...
وهي غلطة... باعتباره...

مات الشاه فهل يعيش الخميني؟

ومن الطبيعي ألا يرفع شاه إيران عينيه عن كل ما يجري في بلاده. فقد كان يلاحق الأحداث بالإذاعة والصحف، والتلفزيون والأعوان ينقلون إليه آخر التطورات. وكان يؤمن إيمانا تاما بأن له أعوانا كثيرين غير أنه ليس قادرا على قيادتهم. فهو بعيد جدا، وهو مريض جدا. وكانت كل القوى مربوطة به هو، فهو مصدر السلطات. وبغيره وحده: لا سلطة ولا قوة ولا أمل في ثورة على الثورة!

وقد اعترف شاه إيران للرئيس السادات بأن أحد أصدقائه قد نصحه بأن يصدر أمره إلى سلاح الطيران الإيراني فيغادر البلاد ويهبط في بلد صديق. لعل الشاه يستخدم هذا السلاح القوي. بعد ذلك فيهبط به مرة أخرى فوق العرش. وتكون عودته هذه المرة بتدبير منه هو، وليس بتدبير الأمريكان.

وقال الشاه للرئيس السادات: إنها فكرة رائعة. لولا أنني لا أستطيع أن أصدر أمرا واحدا لسلاح الطيران، فسلاح الطيران يتلقى أوامره من واشنطنون!

وقد عرف الشاه هذه الحقيقة في الستين الأخيرين من حكمه. أما سبب ذلك فقد قاله الشاه لى ونشرته: لأنني كنت أنصرف مستقلا عن الإرادة والإدارة الأمريكية!



ومنذ اللحظة التي جاء فيها إلى مصر كانت هناك نظرتان: أن الرجل صديق ساعد مصر في محنتها.

وأنة شخصية تاريخية، كان ملكا سلطانا متسلطا جبارا متنجرا. ولذلك لم تتوقف الصحف - مجلة «أكتوبر» أكثر نصيبا - عن نقد سياسته وفلسفته وحكومته وحكمته. فقد عرضنا في مجلة «أكتوبر» لكل الكتب التي هاجمته. وتابعا سقوطه التدريجي من السماء إلى الأرض.

بل إن الشاه قد وعد الرئيس السادات بأن يضيف فصلا جديدا أضافه إلى مذكراته سوف تنشره في مجلة «أكتوبر». ثم وعدنى مرة أخرى. بل وتناقشنا في المبلغ الذي سوف إدفعه لتحويله إلى الجمعيات الخيرية! ولأن الشاه صانع التاريخ الإيراني، وأحد معالم الشرق الأوسط. وأنه لن ينتهى بالوفاة. فالملك لا زل وبواكين، لما ما بعدها من آثار طويلة عريضة عميقة دامية. وكان الشاه يعرف ذلك ويراه طبعيا. فليس شخصا عاديا. بل إنه يفضل ألف مرة أن يحاكمه التاريخ حيا، من أن يتجاهله حيا. ويستأنف محاكمته ميتا!

وليس سرا ما نشرته لجنة العفو الدولية من أن كرامة الإنسان لم تهدر في دولة كما أهدرت في إيران - فقد أدخل الشاه ألوف الحشود في السجون والمعتقلات، وكان خصوم الشاه من الذين هاجروا من الريف إلى المدينة، فعجزوا عن التوافق مع المتغيرات الاقتصادية. وكان خصومه من رجال الدين الذين جردهم من أمواهم ومن سلطانهم، ثم قدم لهم حشيات الهجوم

العنيف عليه. فقد «تفرجت» إيران وتعمت وتحلت وابتعدت عن الإسلام!

وجاء من باريس آية الله روح الله الخى الإمام الموسوى الأثنا عشرى: الحمقى.

يصلح بالدين ما أفسدته السياسة، ويعالج بالرحمة، ما تركه البطش فيطرد ملكا طاغية. رافع القصور، مروع السجون.

ولكن الطريق إلى القوة واحد. فقد سلك الإمام الحمقى نفس السيل. فأصبح هو الآخر آية الآيات وإمام الأئمة وروح الأرواح.

أصبح الشاه الجديد.

وتصخت إيران طوائف وشيعا وأحزابا، وعناصر سياسية ودينية وجنسية. وتعلقت المشاقق وسالت الدماء، وامتألت الشوارع بالمظاهرين. وفرغت الدواوين والمؤسسات والآبار من العاملين.

إن حكم الشعب الإيراني على الشاه، كان أسرع من حكم التاريخ. ومن السابق لأوانه معرفة ما قدمه الشاه لشعبه. وهل كان الخن فادحا.

ولكن من المؤكد أن حكم الشعب الإيراني على الشاه الجديد صاحب التاج الأسود كان واضحا. فالإمام الحمقى لم يقدم لإيران شيئا، ولكنه عاقب الشعب الإيراني على غلطته: أنه عاش في ظل الشاه، ولذلك يجب التخلص منه. ثم على أنه لا يريد أن يكون الشاه الجديد.

ومن المؤكد أن شاه إيران قد مات، ولكن ليس من المؤكد أن آثاره سوف تختفي في عام أو في عشرين عاما.

ومن المؤكد أن الإمام الحمقى لم يمت، ولكنه لم يعيش أيضا. فلم يقدم للشعب باسم السياسة التي يجملها شيئا. كما أنه لم يقدم باسم الدين الذي يعرفه شيئا أيضا.

إن إيران تعيش اليوم بلا ملك، وبلا امام. بلا سياسة. وبلا دين.

فإذا كان الإرهاب هو السياسة فأين هو الدين، وإذا كان الدين هو الإرهاب فأين هي السياسة؟



وعلى الرغم من أن الشاه كان يتباهى كثيرا بعبارة كتبها في مذكراته وهو طالب في سويسرا، فإنه قد نسبها مع أشياء أخرى كثيرة. قال وهو طالب: انضباط بلا ديمقراطية منهى الاستبداد. وديمقراطية بلا انضباط منهى القوضى!

أى لابد من الانضباط في كل الأحوال. ولكن تطبيق الشاه لكلمة الانضباط هو الذى اعترضت عليه لجنة العفو الدولية!

وكان الشاه قاسيا على نفسه، فقد كان منضبطا تماما. له عادات وساعات لا يغيرها. وكان قادرا على إخفاء ألمه. فقد كان يفاجئ حاشيته بالذهاب إلى المستشفى. دون أن يشكو، لأنه يرى أن المرض ضعف.

ويجب ألا يبدو ضعيفا حتى لا يتشجع خصومه، أو يهز الأجهزة التي تتغذى على سلطته. وعندما أطلق عليه الرصاص فأصابته واحدة في خده وفي شفته، نزف الدم منه. ولكنه ذهب إلى المستشفى العسكرى، وروى الحادث حتى لا يتصور الشعب أن إصابته خطيرة. وعندما أصيب بالسرطان لم يشأ أن يطلع أحدا على ذلك. وقد عرفت زوجته الإمبراطورة فرح بمرضه، ولكنها لم تجرؤ على مصارحته.

وفي مستشفيات أمريكا ومستشفى المعادى يشهد له الأطباء بأنه لم يقل :
آه .. وأنه لم يصرخ ..

ومن العجيب حقا أن يطلب الشاه إلى ابنه وفي العهد أن يصور العملية الجراحية لاستئصال الطحال ، لكي يراها الشاه بعد ذلك . فابنه ، هو الآخر ، كان يزاحم الجراحين ويلاحق أيديهم داخلية خارجة في بطن أبيه ويعطلهم .. فقد كان هو الآخر متضبطا تماما . أمره أبوه . فقد الأمر .. وقد نسي تماما أن المريض الجريح الدامي هو أبوه ! ..

٦٦٦

وفى استطاعة الإنسان أمام الموت أن يتفلسف فيقول مثلا :
عندما يولد الإنسان يكون طوله نصف متر ، وعندما يموت
يكون طوله مترا ونصفا ، فهل كل هذا العذاب من أجل
متر واحد ؟ ! ..

نعم من أجل متر ومن أجل ملليمتر من المكان والزمان ..
والشاه عندما التفت إلى الأطباء الدائنين الحائرين حوله
قال لهم :

لا أريد أن أعيش حياة زائفة مثل تيتو ! ..

فالأطباء يعالجونه بكل ما في استطاعتهم .. يغيرون له الدم .. ويقتلون
الخلايا المريضة ومعها الخلايا الحية أيضا .. وكلما انتعشت الخلايا المريضة ،
استخدموا سلاحا كيميائيا جديدا للقضاء عليها ، فيقتلون خلايا صحيحة
أخرى .. فالشاه يعيش حياة كيميائية - أى حياة مصطنعة ! ..
فهو لا يريد أن يطول علاجه أو مرضه ، مثل الرئيس تيتو ، ولكن ليس
معنى ذلك أنه يريد أن يموت . إنما يريد من الأطباء أن يتفوقوا بسرعة على
علاج أفضل ..

ولو قيل للشاه : هل تحب أن تبلغ التسعين مثل تيتو أو أمانتين مثل برجيتف
أو السبعين مثل ريحان ، وينفس العلاج الكيميائي ؟ .. لوافق فوراً ..
فالإنسان لا يختار الموت إلا يأساً ، والشاه لم يعرف اليأس . فهو لم يختار
الموت ، إنما طلب إليهم أن يتفوقوا على عذاب أخفى .. وعلى حياة
أطول ! ..

وكما اختلف الأطباء في موت الشاه ، اختلف المؤرخون في سقوطه ..
فالأطباء يرون أن السرطان لم يقتله ، إنما العقاقير لعلاج السرطان هي التي
قضت عليه ..

فالشاه مريضاً : قتله الدواء ، ولم يقتله الداء ! ..
والمؤرخون يرون أن إيران لم يقتلها الفقر ، إنما قتلها التطوير
العنيف الذي فرضه الشاه على الشعب . فقد ثارت إيران لأن
الشاه أحرق أعصاب الشعب ، إنما لأنه أعطى الشعب الكثير من
المسكنات ..

فالشاه طبيباً : قد أجرى عملية جراحية ناجحة لإيران ، ولكن
المريض مات ! ..
فالعلاج وليس المرض هو الذي كان السبب في ثورة إيران ،
والوفاة العاجلة للشاه ! ..

٦٦٦

وانتهى كل شيء ..

وكان ذلك إحساس الشعب المصرى يوم لجأ إليه ملك الملوك الذى ضاقت
به الأرض . فلم يجد مكانا يتوجع فيه أو يدفن به ..
جاء إلينا ملكا بلا عرش ولا طاووس ولا حول ولا طول ولا مصلحة لنا
عنده .. إنما لدينا عظم الامتنان له .. ونريد أن نؤكد له عميق شعورنا ..
وصدق إيماننا بالله وقضائه وقدره .. وانكشف أشقاء لنا : ملوك
وأمرء ورؤساء يزعمون أنهم اتخذوا الإسلام ديناً . والعروبة قومية .
والسباحة خلقاً ، والكرم ضيافة ..

انتهى كل شيء ..

وقد رأيت شاه إيران على عرش الطاووس سنة ١٩٧١ في مهرجان
قورش العظيم الذى أنفق عليه ٥٠٠ مليون دولار .. فكانت هذه
هي نهاية البداية ! ..

ورأيت الشاه في أسوان بعد خروجه من إيران ، فكانت هذه هي
بداية النهاية ..

وصلت عليه في مسجد الرفاعي : فكانت نهاية النهاية ..

وفى عسى وفي أذن ذلك الحديث القدسي الذى سيقوله الله لنا
يوم القيامة : لمن الملك اليوم ؟ ..

ولن يرد أحد .

فبِرد الله على سؤاله : لله الواحد القهار ! .. □

